حرب الاستنزاف

حرب الاستنزاف .. فى الذاكرة الجمعية المصرية، هى وصف لمرحلة من أنبل ما شهده التاريخ المصرى الحديث بين أعوام ١٩٦٧ و ١٩٧٠، ولكن حرب الاستنزاف التى أعنيها هى تلك التى نحياها منذ يوم ١٢ فبراير ٢٠١١ وطرفاها »ماض» مات ولم يتحلل بعد.. أمام «مستقبل» وُلِدَ لم يشب بعد.

حرب الاستنزاف العسكرية كانت حربًا لاستعادة «كرامة وطن» قبل استعادة ترابه .. وحرب الاستنزاف التى يلزم أن نحياها الآن هى من أجل استعادة «معنى الوطن» قبل بناء مؤسساته... واستعادة إنسانية أبنائه قبل بناء قواعد مستقبلهم.

عدونا فى الحرب الأولى كانت رايته مغايرة وجيشه نظاميًا وأسلحته نيرانًا تحرق وتدمر الأرض والبشر.

أما فى حرب استنزافنا الحالية عدونا منا وفينا.. رايته هي راية الوطن وجيشه ميليشيات «جهل» و«فساد» و«ادعاء» وانعدام كفاءة.. أسلحته هى التراجع الإدارى والحمق السياسى والخطاب الجاهل والفكر المدعى .. أسلحته تحرق وتدمر «الوطن» و«الإنسان» وإن بدت رحيمة بـ«الأرض» و«البشر».

وبما أن الأمر صار لا يقبل شكًا - بعد عام وأكثر ونحن فى غمرة مرحلة الانتقال الأولى - بأن حربنا من أجل استعادة معنى الوطن هى قدرنا، فعلينا أن نعلم ما نحن بصدده حاضرًا ومستقبلاً، كى نكون أوعى بالتحدى وأولى به.

أولاً: حروب الاستنزاف طويلة.. مرهقة.. مستنزفة. قادتها مؤهولون.. متجردون .. يحيون بالحرية ولها.. مُنكرون لذواتهم ومُثبتون لمسؤوليتهم.

ثانياً: النصر فى تلك الحرب هو فى انتزاع «معنى الوطن» الجامع لكل مصرى من براثن الأوطان الخاصة الفئوية والطائفية والمللية والجغرافية .. وعليه فمن جُبِلَ على وطنه الخاص ليس أهلاً لأن يقود فيها ولكنْ أهل أن يُقاد.

ثالثاً: أولوية العمل فيها هى استكمال الثورة السياسية، التى اقتلعت رأس الاستبداد ، بثورة «قيمية» و«فكرية» تتوازى مع أخرى اقتصادية واجتماعية.

رابعاً: ساحات تلك الحرب ومعاركها هى فى العقول والقلوب، وجيوشها أهل العقل والمنطق والوجدان من المصريين القادرين على «إنسانية» الفكر والأداء قبل «مصرية» الفكر والأداء.

خامسًا: سلاح تلك الحرب هو عقل لا يغيب .. يعي وينقد ويبحث عن بيت الداء وجذوره .. متحرر من أسر «المؤامرة» كتفسير وحيد لكل ما يقابله، فأسرى «التفسير التآمري» ومتلبسو دور ضحايا النضال يُعانون ولا يُعينون على استحقاقات المستقبل.

سادساً: أبطال حروب الاستنزاف غير مسموع بهم فى الغالب الأعم .. يرى أثر خطواتهم أكثر مما يسمع صوتها. وعليه فجامحو الطموح وحالمو السلطة ليسوا منهم .. فهى بطبيعتها متضادة مع حركتهم فى الحياة.

وأخيراً من يَخُض تلك الحرب الواجبة من أجل استعادة معنى الوطن «مصر» لا يملك ترف اليأس أو الملل، فليس لديه إلا الأمل والعمل.

وحسبنا فى ذلك ما كان من آبائنا الذين خاضوا حرب الاستنزاف الأولى .. بأن بقوا مرابطين على خط النار يبنون دفاعاتهم بالنهار ليهدمها عدوهم بالليل .. ليعيدوا بناءها بنفس الأمل والدأب فى النهار التالى حتى استُنزف عدونا ولم نُستَنزَف ، فكنا بهم أهلا للنصرة واستعادة الكرامة قبل الأرض.

وفى حرب الاستنزاف التى نعلنها على الماضى متمثلاً فى «الفكر الفاسد» و«الفعل المستبد» و«الكفاءة المتصحرة» و«تغييب العقول بادعاء احتكار الحقيقة» .. لن نكون أقل رباطًا وإيمانًا بهذا الوطن من آبائنا .. وإلا ما استحققنا أن نكون مصريين.

فكروا تصحوا ...